الـطّبيـــعـــة والـبيـــئـــة

عجائب من الطبيعة

في عالَمِنَا العَجِيبِ، تُدْهِشُنَا الطَّبِيعَةُ بِظَوَاهِرِهَا السَّاحِرَةِ وَمَخْلُوقَاتِهَا النَّادِرَةِ. فَهُنَاكَ الشَّفَقُ الأَحْمَرُ الَّذِي يَظْهَرُ فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ وَكَأَنَّهُ رَقْصَةٌ مِنَ الأَلْوَانِ الزَّاهِيَةِ، نَاتِجٌ عَنْ تَفَاعُلِ الجُزَيْئَاتِ فِي الغِلَافِ الجَوِّيِّ مَعَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ. وَأَيْضًا ظَاهِرَةُ "الشَّمْسِ الكَاذِبَةِ"، حَيْثُ تَظْهَرُ شَمْسٌ إِضَافِيَّةٌ بِجَانِبِ الشَّمْسِ الحَقِيقِيَّةِ بِسَبَبِ إِنْعِكَاسِ الضَّوْءِ عَلَى البِلُورَاتِ الجَلِيدِيَّةِ فِي الهَوَاءِ. وفِي أَعْمَاقِ الغَابَاتِ، نَجِدُ حَيَوَانَاتٍ مُدْهِشَةً مِثْلَ البَانْدَا العِمْلَاقِ، الَّذِي يَعِيشُ فِي الصِّينِ وَيُوَاجِهُ خَطَرَ الإِنْقِرَاضِ. مَخْلُوقٌ لَطِيفٌ يَتَغَذَّى بِشَكْلٍ رَئِيسِيٍّ عَلَى نَبَاتِ الخِيزُرَانِ، وَيُعَدُّ رَمْزًا لِلسَّلَامِ وَالهُدُوءِ. وَهُنَاكَ نَبَاتَاتٌ غَرِيبَةٌ مِثْلَ نَبَاتِ "الذُّبَابِيَّةِ"، الَّذِي قَلَبَ القَوَاعِدَ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ لِيُصْبِحَ الصَّيَّادَ بَدَلًا مِنَ الفَرِيسَةِ. إِذْ لَا يَكْتَفِي بِالحُصُولِ عَلَى غِذَائِهِ مِنَ التُّرْبَةِ، بَلْ يَصْطَادُ الحَشَرَاتِ الصَّغِيرَةَ وَيُحَلِّلُهَا لِيَسْتَمِدَّ مِنْهَا العَنَاصِرَ الغِذَائِيَّةَ.

مِنَ المُذْهِلِ كَيْفَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ تَحْوِي عَجَائِبَ لَا تَنْتَهِي، وَكُلٌّ مِنْهَا تَحْمِلُ سِرًّا يَرْوِي لَنَا قِصَّةً عَنْ جَمَالِ وَتَنَوُّعِ هَذَا الكَوْكَبِ الرَّائِعِ. وَلَكِنْ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ يُوَاجِهُ أَخْطَارًا كَبِيرَةً بِسَبَبِ أَكْثَرِ كَائِنٍ أَنَانِيٍّ بَيْنَهَا؟ إِنَّهُ الإِنسَانُ، فِي سَعْيِهِ وَرَاءَ التَّطَوُّرِ وَالرِّبْحِ السَّرِيعِ، يَقُومُ بِتَدْمِيرِ وَتَلْوِيثِ الطَّبِيعَةِ، مُعَرِّضًا كَائِنَاتِها لِلانْقِرَاضِ وَرَافِعًا مَعْدَلَ الاِحْتِبَاسِ الحَرَارِيِّ. هَذِهِ الأَعْمَالُ تَجْعَلُه عَدُوًّا لِلطَّبِيعَةِ الَّتِي تَمُدُّهُ بِكُلِّ أَسْرَارِ الحَيَاةِ وَالجَمَالِ. فَهَلَّا أَدْرَكْنَا قِيمَةَ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ، وَعَمِلْنَا عَلَى حِمَايَتِهَا! فَالحِفَاظُ عَلَيها لَيْسَ مُجَرَّدَ وَاجِبٍ، بَلْ ضَرُورَةٌ لِضَمَانِ مُسْتَقْبَلٍ صِحِّيٍّ وَآمِنٍ لَنَا وَلِلأَجْيَالِ القَادِمَةِ. فلنَأْخُذْ عَلَى عَاتِقِنَا مَسْؤُولِيَّةَ العِنَايَةِ بِالطَّبِيعَةِ، فَهِيَ بَيْتُنَا الأَوَّلُ وَمَصْدَرُ سَعَادَتِنَا وَحَيَاتِنَا.

نداء الأرض

كانَت الطَّبِيعَةُ مُنْذُ الأَزَلِ الحُضْنَ الَّذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ الإِنْسَانُ، تُلَبِّي احْتِيَاجَاتِهِ الأُولَى، وَتَمْنَحُهُ لَحَظَاتٍ مِنَ السَّكِينَةِ وَالرَّاحَةِ. هِيَ الخَزَانَةُ الَّتِي تُخَبِّئُ فِيهَا العَجَائِبَ وَالغَرَائِبَ، وَالعَالَمُ الَّذِي لَا يَنْضُبُ إِلْهَامُهُ. وَلَكِنْ، رَغْمَ هَذَا العَطَاءِ السَّخِيِّ، أَصَرَّ الإِنْسَانُ عَلَى أَنْ يَكُونَ الطَّرَفَ المُتَمَرِّدَ فِي قِصَّةِ الكَوْنِ؛ فَقَدْ أَسْهَمَ فِي اخْتِلَالِ التَّوَازُنِ البِيئِيِّ وَأَدَّى إِلَى انْقِرَاضِ كَائِنَاتٍ كَانَتْ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ نَسِيجِ الحَيَاةِ.

مِنْ بَيْنِ التَّحَدِّيَاتِ الكُبْرَى الَّتِي يُوَاجِهُهَا الكَوْكَبُ اليَوْمَ، يَبْرُزُ الاِحْتِبَاسُ الحَرَارِيُّ، وَهُوَ ارْتِفَاعٌ تَدْرِيجِيٌّ فِي دَرَجَاتِ الحَرَارَةِ نَاتِجٌ عَنْ تَرَاكُمِ الغَازَاتِ فِي الغِلَافِ الجَوِّيِّ، مِثْلَ ثَانِي أُكْسِيدِ الكَرْبُونِ وَالمِيثَانِ. هَذِهِ الغَازَاتُ تَعْمَلُ كَغِطَاءٍ يَحْبِسُ الحَرَارَةَ دَاخِلَ الأَرْضِ، مِمَّا يَزِيدُ مِنْ حَرَارَةِ الكَوْكَبِ بِشَكْلٍ يَفُوقُ قُدْرَةَ الطَّبِيعَةِ عَلَى التَّكَيُّفِ.

أَسْبَابُهُ عَدِيدَةٌ، أَبْرَزُهَا التَّلَوُّثُ النَّاتِجُ عَنِ الصِّنَاعَاتِ الثَّقِيلَةِ، وَحَرْقُ الوُقُودِ الأَحْفُورِيِّ مِثْلَ الفَحْمِ وَالنَّفْطِ، وَقَطْعُ الغَابَاتِ الَّتِي تَمْتَصُّ غَازَ الفَحْمِ وَتُحَافِظُ عَلَى التَّوَازُنِ البِيئِيِّ. وَنَتَائِجُهُ تُثِيرُ القَلَقَ؛ فَهِيَ تَتَسَبَّبُ فِي ارْتِفَاعِ مُسْتَوَيَاتِ البِحَارِ نَتِيجَةَ ذَوَبَانِ الأَنْهَارِ الجَلِيدِيَّةِ، وَتُؤَدِّي إِلَى تَغْيِيرَاتٍ فِي أَنْمَاطِ الطَّقْسِ، كَزِيَادَةِ الجَفَافِ فِي بَعْضِ المَنَاطِقِ وَتَفَاقُمِ الفَيَضَانَاتِ فِي أُخْرَى، مِمَّا يُهَدِّدُ بَقَاءَ الكَثِيرِ مِنَ الأَنْوَاعِ وَيَزِيدُ مِنْ وَتِيرَةِ الكَوَارِثِ الطَّبِيعِيَّةِ.

لِلْحَدِّ مِنْ هَذَا الخَطَرِ الدَّاهِمِ، لَا بُدَّ مِنْ تَبَنِّي سِيَاسَاتٍ بِيئِيَّةٍ حَكِيمَةٍ، كَالتَّوَجُّهِ نَحْوَ الطَّاقَةِ المُتَجَدِّدَةِ، وَالتَّقْلِيلِ مِنِ اسْتِهْلَاكِ الوُقُودِ الأَحْفُورِيِّ، وَإِعَادَةِ زِرَاعَةِ الغَابَاتِ الَّتِي تَعُدُّ رِئَةَ الأَرْضِ.

الطَّبِيعَةُ، رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ، تَمُدُّ يَدَهَا لَنَا، فَهَلْ نُعِيدُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنْ حَقِّهَا؟